

الأسس السياسية القرآنية عند مالك بن نبي

م.م. حيدر عبد الرضا باقر

الجامعة المستنصرية - كلية التربية - قسم علوم القرآن



الملخص

تتناول هذه المقالة المنحى السياسي القرآني في فكر مالك بن نبي حيث بحثنا عن الحلول لمعضلات مفهوم السياسة في مختلف جوانبها وكما يرى مالك بن نبي أن العالم الإسلامي أقتبس مفاهيمه من الغرب، وأنه كان الأولى أن يعود إلى أصوله وتراثه الإسلامي بل هناك ضرورة لاستثمار النص القرآني ورؤيته الشمولية في دراسة مفهوم السياسة. فتكمن أهمية الجانب السياسي باعتباره يمثل رأس الحربة في أي عمل تغييرى إصلاحى، كما حاولت هذه المقالة الإجابة على حقيقة العلاقة بين سياسة الأمة وصلاحيها، وفي إطار الهدف الذي اتجه إليه مالك بن نبي إلى الكشف عن حدود المنهج القرآني في معالجته لمفهوم السياسة كنموذج تطبيقي نلاحظ من خلاله فاعلية هذا المنهج في تحقيق التوجيه السليم إلى ما ينبغي أن يكون من صلاح الأمة وسياستها وفي خضم هذا النزاع والجدل جاءت مساهمة مالك بن نبي في بيان الحلول ومن زاوية نقدية متكاملة ومن رؤية شاملة تأخذ بعين الاعتبار أبعاد الموضوع وجوانبه المتعددة فيقدم رؤيته النقدية لمناحي القصور في الخطاب الإسلامي المعاصر وكما يقدم بديله السياسي النظري. والمنهج المتبع في هذه المقالة هو المنهج التحليلي ومن منحى نقدي ومن رؤية متكاملة مأخوذة من روح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وقد جاءت أهم النتائج: باعتبار الدين إطار موضوعي كونه القاسم المشترك لكل نهضة حضارية، وهو بالتالي يفرض ذاته على أي فكر أو فعل سياسي يريد صاحبه العودة بالأمة إلى سابق عهدها. وإن عوده الإسلام إلى الحياة وعودة الأمة الوسط لممارسة دورها على الساحة البشرية وعودة كيائها المسلوب يفرض أولاً القضاء على فكرة انفصال الدين عن السياسة كما يرى ذلك الإمام الخميني (قدس سره). وإن الأسس والمبادئ هي التي تجعل الفكرة الدينية قادر على بعث الحياة في الفكر الإسلامي ومعالجته للأمراض التي تعاني السياسة منها.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، المنحى السياسي، الديمقراطية، الفكر السياسي، مالك بن نبي

The Political Foundations of the Qur'an in Malek Bennabi's Thought

Mr. Haider Abdul-Ridha Baqir

Al-Mustansiriya University, College of Education, Department
of Qur'anic Sciences

Abstract

This article examines the Qur'anic political approach in the thought of Malek Bennabi. We explore solutions to the dilemmas surrounding the concept of politics in its various aspects. Malek Bennabi believes that the Islamic world borrowed its concepts from the West, and that it should have returned to its Islamic origins and heritage. Indeed, there is a need to utilize the Qur'anic text and its comprehensive vision in studying the concept of politics. The importance of the political aspect lies in its role as the spearhead of any reformative effort. This article also attempts to answer the question of the true relationship between politics and politics. The nation and its reform, and within the framework of the goal that Malek

Bennabi headed towards to reveal the limits of the Qur'anic approach in its treatment of the concept of politics as an applied model through which we notice the effectiveness of this approach in achieving sound guidance to what should be of the nation's reform and its politics, and in the midst of this conflict and controversy came Malek Bennabi's contribution in stating the solutions from an integrated critical angle and from a comprehensive vision that takes into account the dimensions of the subject and its multiple aspects, he presents his critical vision of the shortcomings in the contemporary Islamic discourse and also presents his alternative Theoretical Politics. The approach followed in this article is analytical, from a critical perspective, and from a comprehensive vision taken from the spirit of the Holy Quran and the pure Prophetic Sunnah. The most important results are: considering religion as an objective framework, as it is the common denominator for every civilizational renaissance, and thus it imposes itself on any political thought or action whose proponent seeks to return the nation to its former glory. The return of Islam to life, the return of the moderate nation to exercise its role on the human scene, and the return of its usurped entity necessitates, first and foremost, the elimination of the idea of the separation of religion and politics, as Imam Khomeini (may his secret be sanctified) sees it. The foundations and principles are what make the religious idea capable of reviving Islamic thought and treating the ills from which politics suffers.

Keywords: The Holy Qur'an, political approach, democracy, political thought, Malek Bennabi

المقدمة

هناك خلاف شديد في تحديد المراد من مفهوم السياسية بين العلماء، وهل هو راجع الى موقفهم النظري أو الفكري الذي تنطلق منه التعريفات ذاتها، وحسب المدرسة الاسلامية أو الغربية. وبما ان الكثير من المسلمين اقتبسوا هذه المفاهيم من الغرب، ومن دون أن يتحققوا من صحتها، وتماشيها مع قيمتهم، وشخصيتهم، وأسلوب حياتهم، وواقعهم الاجتماعي، وعليه فالأولى بهم أن يعودوا إلى تراثهم الإسلامي وأصوله. وهذه الأصول الإسلامية لا يقاس بها ما عند الغرب في حال تطبيقها تطبيقاً صحيحاً كما يراه مالك بن نبي.

والملاحظ للتخلف الذي عليه الأمة الإسلامية يعرف لم جاءت العديد من محاولات النهوض والإصلاح التي قادها نخبة من المفكرين والمصلحين. حيث استمدوا مرجعيتهم من أصالة الاسلام وهذا ما أطلق عليه بالتيار الاصلاحى ومنهم من يستمد مرجعيته من الغرب. وهنا تمحورت جل الحركات السياسية في العالم الإسلامي حول هذين الاتجاهين وهما: الاتجاه الأول: انه لا يصلح اخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. الاتجاه الثاني: الاقتداء بالغرب حذو القذة بالقذة.

ومالك بن نبي نظريته الإصلاحية كنظرية (محمد عبده) وغيره من الاصلاحيين المسلمين الذين رفعوا شعار: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (الرعد/11). كما صرح هو بذلك. وقد جاء برؤية شاملة ومنحى نقدي متكامل وأخذ بأبعاد الموضوع وجوانبه المتعددة وتقاطعاته مع باقي الأبعاد الحضارية سواء أكانت: ثقافية أو اقتصادية أو اجتماعية.

ومن خلال هذا الاستعراض لموقف بن نبي من مختلف النواحي والاتجاهات والنظر في مشروعه ونقد مواضع الضعف نحاول استنتاج اتجاهه السياسي.

السؤال الأصلي: ما هو المنحى السياسي القرآني لمالك بن نبي؟
الدراسات السابقة

1. علم السياسة، حسن الصعب.
2. نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث، حسين يوسف.
3. أي مستقبل لعلم السياسة في العالم الإسلامي العربي، منصور بن لرنب.

1- المفاهيم

1-1. تعريف السياسة في الفكر الإسلامي

أولاً: السياسة لغةً: فهي القيام على الشيء بما يصلحه والسياسة: فصل السائس يقال: هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها والوال يسوس رعيته (ابن منظور، 1993، 108) ولا تختلف كلمات اللغويين الأخرى عن تعريف ابن منظور (الفراهيدي، 1409، ج7/336؛ وابن فارس، 1404، 119؛ والجوهري، 1999، 993)

ثانياً: السياسة اصطلاحاً: للسياسة عند علماء الإسلام القدامى معنيان:

- 1- تدبير أمور الناس وشؤون حياتهم بشرائع الدين...
 - 2- الاحكام والقرارات التي يشتهر الامام في اصدارها درءاً لفساد واقع او متوقع حسب ما يحقق المصلحة العامة للمجتمع وهو ما يسمى (السياسة الشرعية) اي السياسة المبنية على احكام الشرع المستندة الى اصول الشريعة الإسلامية. (القرضاوي، 2001، 30)
- وكما يعرفها الغزالي: هي إطلاع الخلق بإرشادهم الى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة (الغزالي، 2008، ج1/12)
- والموردي: هي (الاحكام السلطانية) المتعلقة بولاية الامور مما يحسن فيه التقدير ويحكم به التدبير وهي الاحكام المتعلقة التي تصدر عنها ما يجوز فعله من الولايات -أي السلطات- وغيرها. (الموردي، 2008، 5)
- والمودودي: (إن علم السياسة في أصله هو دراسة مشكلة العلاقة بين الفرد والمجتمع). (المودودي، دت، 137)

2-1. تعريف السياسة في الفكر الغربي:

أولاً: لغةً: بولتيكي (politike) وتعني العلم السياسي (صليباً، 1982، ج1/252)
وتقابل كلمة السياسة في اللغة الغربية كلمة (politics) في اللغة الانجليزية وكلمة (politique) باللغة الفرنسية وكلا المصطلحين من اللفظ اللاتيني (polis) بمعنى المدينة او الناحية او اجتماع المواطنين. (ابراش، 1998، 37)

ثانياً: اصطلاحاً: لم يعرف العالم الغربي مفهوم السياسة الا بعد احتكاكه (بالفرس) بفعل الحروب والتجارة وكان (سقراط) هو المؤسس الحقيقي لعلم السياسة وقد عرفها (سقراط) بانها: فن الحكم والسياسي هو الذي يعرف معنى الحكم.

وكما عرفها تلميذه (افلاطون) بانها: فن وعلم حكم البشر برضاهم. وعرفها (ارسطو) بانها: كل ما من شأنه ان يحقق الحياة الرغيدة في مجتمع له خصائص متميزة اهمها الاستقرار والتنظيم الكفاء والاكتفاء الذاتي. (صعب، دت، 26؛ والنايلسي، دت، 11)

وهنا نجد ان مفهوم السياسة قد اخذه المسلمون في كثير من الاحيان عن الغرب حرفيا دون مراعاة لاي ظروف خاصة او معطيات اجتماعية او تاريخية او نفسية يختلف فيها العالم الإسلامي عن الغرب اختلافا شاسع. ولهذا يقول مالك بن نبي ان الفكر السياسي الحديث في العالم الإسلامي هو في ذاته عنصر متنافر فهو اقتباس لا يتفق وحالة ذلك العالم والمسلمون في هذا الميدان او غيره من الميادين حيث لم يقبوا عن وسائل لنهضتهم بل اكتفوا بحاجات قلدوا فيها غيرهم واخذوا اشكال جوفاء الا من الهوى بينما ليست حاجتنا ان نجمع العناصر لنكون منها تلفيقا وانما أن نوجد بواسطة منهج يقوم على التحليل، العناصر الأساسية التي تسهم في خلق تركيب حضاري قائم على: (الإنسان والتراب والوقت). (بن نبي، 2019، ش، 69)*

وقد ربط مالك بن نبي تعريف السياسة بالأخلاق دائما ويعتبر هذا الربط علامة فارقة تميز بين المفاهيم الإسلامية والمفاهيم الغربية وان كان يأخذ في نفس الوقت ببعض المحددات الأخرى التي يرى انها ضرورية لضبط المفهوم لاعتبارها تخص العالم الإسلامي في وضعه الراهن وهي الثقافة الأيديولوجية والبولتيك.

3-1. تعريف السياسة عند مالك بن نبي

يعرف مالك بن نبي السياسة: «العمل الذي تقوم به كل جماعة منظمة في صورة دولة» (بن نبي، 2019، ش، 64)

ويقدم ملاحظة هامة حول هذا التعريف حيث يرى ان هذا التعريف يفترض ان يتوفر فيه امران:

- 1- وضوح معنى الدولة (وهو يفترض تحديد وظيفة هذه الدولة بدستور او تقاليد).
 - 2- إيجاد طريقة لوقاية عمل الدولة (وقاية الدستور من اعمال التخريب).
- ثم يضع بن نبي ثلاثة شروط يراها ضرورية لضبط التعريف تتمثل فيما يلي:
- 1- تصور (العمل) بتحديد السياسة بأكثر ما يمكن من الوضوح.
 - 2- تصور وسائل تحصين العمل من الاحباط حتى لا يبقى حبرا على ورق في نص الدستور او ميثاقا او مجرد لائحة.
 - 3- تصور جهاز يحفظ المواطن من اجحاف العمل اذا تعدى -عن جهل او سوء نية- من يقوم بتنفيذه. (بن نبي، 2019، ب، 64)

وقيمة هذه الشروط تتضح اساسا في كونها تميز السياسة عن (البولتيك) والتي يقصد بها السياسة المزعومة التي تركز على تقديرات سافلة وتطبيق مشبوه مع كل الاسف. رغم اهمية هذه الشروط في تحديد مفهوم السياسة ولكن تبقى شروطا غير كافية وبالخصوص لبلاد لم تنضج فيها بعض التقاليد الاجتماعية والثقافية الكافية والتي تستند عليها السياسة. حيث يقول: إن الذي يجب ان نقوله هو ان هذه الشروط ليست هي ذاتها في بلاد سيق لها ان اصبحت في حالة معركة وفي بلاد يتعين عليها ان تنتج الحركة الضرورية لكي تتغلب على جميع ضروب العطالة الخاصة بمرحلة الانتقال. (بن نبي، 2019، أ، 160)

لذلك يجب تعضيدها بشروط يراها ضرورية لاستكمال هذا المعنى وهي:

- 1- ان السياسة يجب ان تتطابق مع مبدأ تستند اليه في عملية التغيير وهو ما يقصد به المبدأ الأخلاقي.

* مركب الحضارة والفكرة الدينية عند مالك بن نبي تتكون من العناصر الثلاثة الإنسان والوقت والتراب.

- 2- ان السياسة لا تستطيع ان تكون العمل الذي تقوم به الدولة او الأمة كلها الا بقدر ما تكون مطبوعة في عمل كل فرد منها أي الاجماع وهو ما يقصد به الأيديولوجية.
- 3- ان الهدف يجب ان يكون متطابقا مع التطور الطبيعي للأمة وما يكتنفه من ظروف بل ومتطابقا مع مصير الإنسانية كلها وهو ما يتعلق بالثقافة.
- ونحن سوف نقوم باستعراض هذا الشروط لضرورتها ولاستكمال مفهوم السياسة:

مفهوم السياسة عند مالك بن نبي 1-3-1. السياسة والأخلاق (العقيدة)

كان للثورة العلمية وما حققه العلم من انتصارات أثر على الحركة الثقافية في الغرب وابتدأ منذ العهد (الكرتزائي). وهذا التأثير هو الذي حول أوروبا عن مجراها الاصيل وفصلها من اصولها المسيحية وقادها في مسارها الجديد وهو (العلمانية) الذي قادها الى موضوعية (أوغست كونت) وأوصلها أخيرا الى المادية الجدلية (الماركسية). (بن نبي، ب، 2019، 44)

وفي القرن التاسع عشر اتضح هذا الامر أكثر عندما تعدى العلم مجاله الخاص الى مجال الحياة العامة وبعد ما حققه من فتوح علمية في مجالات الكهرباء والبخار حيث أمنت البشرية على حياتها ومصيرها باغراء من البلاد المتحضرة لكنها ورطت نفسها بفضل هذا الاعتقاد الساذج ودخلت متاهات وكوارث ما زالت قائمة الى يوم الناس هذا.

وننتج عن هذه الامور مجتمعة قطيعة بين الأخلاق والسياسة وبعبارة ادق بين الدين والسياسة باعتبار ان الدين هو المعين الذي تأخذ الأخلاق منه مشروعيتها ولذا اصبحت الأخلاق في الحياة المعاصرة كأنها تمثل كل ما هو سلبي من تخلف وفقر في ثنائية عجيبة تفصل بين العلم والأخلاق. وبهذا تقسم الكائنات الإنسانية الى جزئين:

1- معنوي.

2- مادي.

حيث يقول مالك بن نبي كلما تحطمت وحدة الإنسان الى جزأين: واحد يسمى الكائن المعنوي والآخر الكائن الموضوعي فان الامر سيؤول الى تجزئة الأمة وبالتالي وباطراد سريع الى تجزئة الإنسانية. (بن نبي، ب، 2019، 45)

وقد يتعدى هذا الامر السياسة الى الاقتصاد وباعتبار ان الاقتصاد في حقيقته اسقاط للبعد السياسي على نشاط انساني معين فالعلم إذا تجرد من الأخلاق فانه يقود الاقتصاد بدوره الى التجرد عنها سواء في الإطار الدولي ام في الإطار الوطني وهذا الصراع الطبقي يمكن ملاحظته بين طبقه الملاك (البرجوازية) وطبقه العمال (البروليتارية) والذي هو نهاية الامر صراع مصالح وانانية بحتة.

فتجد الاول يريد مزيدا من الذهب في خزينته والثاني يريد مزيدا من اللحم في بطنه وكلاهما بمقتضى تعاليم أيديولوجية يتطلع الى الاستيلاء على السلطة. (بن نبي، ب، 2019، 47)

ولكن هذين الفريقين المتصارعين في عالمهما الغربي سرعان ما يتوحدان عندما يتعلق الامر بشأن المستعمرات في سقطة أخلاقية كسابقتها من السقطات.

فقد انتشرت ظاهرة (الفكر الموضوعي) على المستوى الفردي فشملت الطالب والامي العامل والعاطل الشاب والمسن وصارت ترمز الى التقدمية في قبال الرجعية وهي مثلها مثل الطفيليات فالفرد من هذه الفئة نجده قد حافظ على حياته فيبقى حيا ليغنم بعد ذلك ويصبح غنيا على حساب اولئك الذين خاضوها بوازع ديني بحت.

فاذا كان العلم دون ضمير فما هو الا خراب الروح فالسياسة من دون الأسس الاخلاقية خراب للأمة. (بن نبي، ب، 2019، 49)

ومن هنا نجد ان آيات القرآن الكريم تؤكد على الجانب الأخلاقي وعلى مختلف الاتجاهات الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية بحيث انها أساس لا بد منه في كل فرد من افراد المجتمع وبلا فارق بين الرئيس والمرؤوس يقول تعالى {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (الشعراء/215). (حيث يأمر الله نبيه وهو اعلى سلطة في الواقع الديني والاجتماعي و السياسي والقائد الأوحد للامة بان يلين جانبه ويتعامل مع امته على وفق منطق القيم الأخلاقية و لا يتعامل معها من منطق اعلائي يقول العلامة الطباطبائي (قدس سره) أي اشتغل بالمؤمنين بك واجمعهم وضمهم إليك بالرفقة والرحمة كما يجمع الطير أفراده إليه بخفض جناحه لها، وهذا من الاستعارة بالكناية تقدم نظيره في قوله : " واخفض جناحك للمؤمنين " (الطباطبائي، 1973، ج15/329) واما على المستوى الاقتصادي فان القرآن طافح بالآيات الدالة على أساس القيم الأخلاقية في التعاملات الاقتصادية يقول تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة/188).

1-3-2. السياسة والأيدولوجية

إن السياسة الناجعة تقتضي اقحامها بالمجتمع حيث يؤدي هذا الاقحام والتمازج إلى الاختصار على نخبة المجتمع والتوجهات الفكرية لهم وكذلك الى فقدان فعاليتها وقدرتها على القيام بدورها في توجيه قدرات المجتمع والامة ولا ترتبط السياسة بالمجتمع باعتبارها العمل الذي تقوم به الامة الا بقدر ما تكون مطبوعة في عمل كل فرد منه وهو ما يعني الإجماع ومن هذا المدخل تتسرب الأيدولوجية. وليس مجرد اقتراح يُستحسن كثيرا او قليلا في مجال الافكار بل بوصفها مشروعا حيويا يكون له على السياسة تأثير حقيقي في الواقع المحسوس للوطن. (بن نبي، 2019ب، 51-50)

وباعتبارها منظومة افكار تحدد اهداف السياسة وتحشد الطاقات الاجتماعية في عمل مشترك وهي ترتبط بعاطفة الشعب وتثير حماسه بما يبعث فيه التوتر الدافع لعمل مشترك جديد. (بن نبي، 2019ذ، 69)

والأيدولوجية تعني العنصر الذي يحقق جمع وتحريك الطاقات الاجتماعية او تحقيق الوحدة في النشاط الاجتماعي بواسطة ادماج النشاط الفردي (للشخص) الذي صاغته الثقافة في النشاط الاجتماعي لإقامة الحضارة. (العويسي، 2012أ، 274-275)

يتضح لنا مما سبق الفرق بين العمل الفردي والجماعي فالعمل الجماعي هو: العمل الذي يمتلك ذات المبررات وذات المنهج لدى جميع الافراد او الذين يقومون بإنجازه وهو الامر الذي توفره الأيدولوجية باعتبارها الإطار الذي يحرك الطاقة الفكرية للأفراد في المجتمع. وعليه فمن اهم شروط نجاح العمل السياسي هو تجانس عمل الدولة مع عمل الفرد والذي يؤدي اختفاؤه الى نشاء الديكتاتورية ويؤدي بالتالي الى فصل الدولة معنويا عن الوطن وعجزها بالتالي عن التأثير في نشاط كل فرد ومما يؤدي بالضرورة الى عدم قدرتها عن تحريك الطاقات الاجتماعية نحو هدف محدد تدركه الجماعة. (بن نبي، 2019ب، 51)

وهذا التجانس يتحقق على مستوى ضمير الفرد حيث يجعل منه هذا التجانس موضوعا وحكما في نفس الوقت وحين ان تقدم الايدولوجية للفرد مسوغات التعامل مع السلطة بعقيدة تدفع به للتضحية في سبيل الصالح العام للمجتمع.

هنا تجد مالك بن نبي يسجل ان قدرة السياسة على خداع الضمير ومباغتته في بعض الاحيان بفضل الشعارات البراقة الا انها تعجز عن ذلك وفي كل الاحيان كما يقول (ابراهيم لنكون) إن التغرير بفرد ممكن دائما والتغرير بشعب ممكن بضعة ايام الا انه غير ممكن كل يوم. (بن نبي، 2019ب، 52)

ومصادقا لهذا قوله تعالى: {فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيدْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}. (الرعد/17). ولضمان واقعية الأيديولوجية وجب تصور محتواها من خلال العمل الفردي ومستواه وهو ما يعني صياغة شعارات تتناسب وقدرة هذا الفرد وفهمه كما يجب ان تأتي هذه المسوغات مرتبة ضمن مسوغ شامل.

وعلى سبيل المثال ما فعله (لينين) عندما صاغ شعاراته الثلاث: (السلم للجندي والخبز للعامل والارض للفلاح) حيث انزل شعارات الأيديولوجية من سماء النظريات المجردة المبنوثة في كتب (ماركس) الى واقع الشعب واحتياجاته ومستوى فهمه الذي توصل اليه. (بن نبي، 2019، ب، 52)

ولكن هذه الشعارات آنية لا تكفي وحدها لتحقيق اللحمة بين عمل الفرد والدولة فوجب وجود خمائر أخرى لضمان هذه اللحمة والتي تعطي حسب جوهرها القيمة السياسية امام التاريخ وهذا الجوهر الذي لن يكون الا من عنصر الأخلاقي متصل بما وراء الطبيعة ممثلة في العقيدة كما بينا ذلك في النقطة السابقة. (بن نبي، 2019، ب، 52-53)

وكون السياسة التي تقتصر على مسوغات مؤسسة سرعان ما تنهار امام التحديات لكن السياسة المبنية على العقيدة التي لا يعترها الشك بإمكانها ان تقاوم وتنتصر على هذه التحديات التي تمثل خصوما حسب رأي مالك بن نبي في امرين:

- 1- حين تحدث ازمة ما فتحصل خيبة أمل تدفع الى التراجع والتقهقر.
- 2- حين يحقق المجتمع مقدارا من النمو يوفر له حالة من الإشباع تخلق لديه الفتور والملا مبالاة.

وبالتالي فالتعاون بين الدولة والفرد لا بد له من جذور في عقيدة تستطيع وحدها تجعل ثمن الجهد محتملا مهما كانت قيمته لدى صاحبه فيضحي هكذا بمصلحته وحتى بحياته في سبيل قضية مقدسة في نظره. (بن نبي، 2019، ب، 53)

فوظيفة الأيديولوجية هي العمل التغييري في تجميعها نشاط الافراد وصياغته في نشاط مشترك عن طريق ما تحويه من مبررات ودوافع تعطي النشاط فعاليتها والمنهج الذي يوحد الطاقات ويحدد مسارها التاريخي والأيديولوجيات ذات علاقة وثيقة بالثقافة فالثقافة تصوغ شخصية الفرد والأيديولوجية تدمج نشاطه في النشاط الاجتماعي. (السعد، 1993، 113)

والأيديولوجية تتطلب اطرافا أخرى تتضمن الوحدة الضرورية بين عمل الدولة وعمل الفرد وإنجاز مهمات بعيدة تركز على الثقة والبطولة وهذه الاطراف هي التي تعطي حسب جوهرها القيمة الجديدة للسياسة امام التاريخ والجوهر هذا هو (العنصر الأخلاقي) وهو متصل بالعنصر النفسي وبهذا يعتبر (العنصر الأخلاقي) او (العقيدة) شرط اول من شروط تعريف السياسة كما مر بنا حيث يقول الله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحديد/25). حيث جاء في الأمثل الهدف الأساس من بعثة الأنبياء: إبتداء الله سبحانه

وتعالى عباده بالنعم فكانت رحمته ولطفه ومغفرته، ونعمه الكثيرة التي لا تحصى والتي أشير إليها في الآيات السابقة.. ولأن هذه النعم تحتاج إلى تقنين في استعمالها، ونظم وشرائط لنيل نتائجها المرجوة، لذا فإنه يحتاج إلى قيادة تقوم بمباشرتها والإشراف عليها وإعطاء التوجيهات الإلهية بشأنها، وهؤلاء القادة يجب أن يكونوا (قادة إلهيين) والآية مورد البحث - التي تعتبر من أكثر الآيات القرآنية محتوى - تشير إلى هذا المعنى، وتبين هدف إرسال الأنبياء ومناهجهم بصورة دقيقة، حيث يقول سبحانه: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط. (مكارم الشيرازي، 1992، ج72/18).

1-3-3. السياسة والثقافة

من خلال الشروط السابقة يرى مالك بن نبي ان السياسة عمل يتم عن طريق الدولة يوضع في إطار معين كميثاق او دستور او اعراف عريفة وتوضع أجهزة لمراقبته وحمايته من اعمال التخريب.

والأيديولوجية تعطي الدافع الضروري الى جانب الطاقات الاجتماعية لتبلغ الهدف المعين وان كانت ضرورية فهي غير كافية لتعريف السياسة المتقدم.

وإذا كانت الشروط الثلاثة الاولى بحاجه الى الدافع الذي تمنحه لها الأيديولوجية فلقد اتضح لنا انها ليست الا سهما يشير الى الهدف الذي يحدد بعض الاتجاهات وقد يكون هذا الهدف احيانا تحطيميا موجهها لانتحار أمة ومثال ذلك الأيديولوجية الهتلرية. (بن نبي، 2019، ب، 55-56)

ويضيف بن نبي شرطا اخر يراه ضروريا يفرضه التطور الطبيعي للأمة والظروف العامة التي تحيط بهذا التطور كما فرض على مصير الإنسانية جمعاء والامر هنا يتعلق بشرط الثقافة وهو على صلة وطيدة بالأخلاق وباعتباره يتصل بالضمير فمن جهة تربط السياسة بالثقافة لاتصالها بضمير الأمة والذي تستمد فعاليتها منه حيث تتأكد صلة الثقافة بتطور الأمة ومع الظروف المحيطة بتطورها وهذا ما عنيناه من الثقافة ولكنها من جهة أخرى ترتبط بالضمير العالمي وهو الامر الذي لا يزيدنا الا تأكدا على صلة الثقافة بالأخلاق اتصالا وثيقا.

والثقافة هي: الجو العام الذي يطبع اسلوب الحياة في مجتمع معين وسلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر. (بن نبي، 2019، ت، 143)

والثقافة على هذا تتصل بعدة مبادئ وهي:

- 1- المبدأ الأخلاقي
- 2- الذوق الجمالي.
- 3- مبدا المنطق العلمي.
- 4- الصناعة.

المبدأ الأخلاقي: هو الذي يقرره الاتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع والغايات. والذوق الجمالي: وهو الذي يصوغ صورة هذا الاتجاه ويمنح البعد الأخلاقي دوافع إيجابية تنأى به عن الجفاف والزهد السلبي ويجعله مقبولا اجتماعيا. والمنطق العلمي: هو الذي يربط العمل بوسائله ومقاصده ما يؤدي الى استثمار الوقت والجهد بأقصى قدر ممكن.

والصناعة: هي تطبيق اصول نظرية ووسائل مادية يقدمها العلم للفرد عندما يختار المهنة التي يكسب بها عيشه (العويسي، 2012، ب، 148-158) (هنا نتبين الصلة بين السياسة والثقافة عندما نعلم ان الثقافة تشكل الإطار العام للسياسة وبالتالي فالعلاقة بينهما علاقة الكل من الجزء باعتبار ان السياسة لا يمكنها ان تغير مصير مجتمع ما لم يتم تحديدها في كنف تصور عام للعالم باعتبارها التعبير العيني الملموس لثقافة حضارة مرتسمة على خطط (تعبئة): (tactique) و (إستراتيجية) وطنيتين. (بن نبي، 2019، أ، 14)

فيؤثر عمل الثقافة في عمل السياسة فصناعة الثقافة تعني صناعة السياسة حيث أن اي تغيير في عالم الثقافة ينعكس على عالم السياسة سلبا او ايجابا.

ولذا فان وظيفة الثقافة هي: صياغة الفرد وتكييفه بدوره في صنع سياسة وطنه بما تتيج له من معطيات اجتماعية ومبادئ اساسية أخلاقية وعلمية والشخص هو الفرد الذي تمت صياغته وفق المناخ الثقافي الذي انشاه الفكر الديني فتغير صفاته البدائية التي ترتبط بالنوع الى نزعات اجتماعي وسياسي وثقافي ترتبط بالمجتمع.

ولهذا يصنف بن نبي الثقافة الى ثلاثة اصناف هي:

الصنف الاول: وهو يتصل بالثقافة التي نريد صنعها.

الصنف الثاني: وهو يتصل بـ (لا ثقافة) موروثه نريد تصنيعها.
الصف الثالث: وهو يتصل بشيء نسميه ما ضد الثقافة وهو يفرض علينا ان نكون في انتباه مستمر اتجاهه. (بن نبي، 2019، ب، 56-57)

والنتيجة في هذه المرحلة هي ان عمل الدولة قد تجانس مع عمل الإنسانية بعد ما كان قد تجانس مع عمل فرد، وهذا الامر يتعلق (بالثقافة) والتي لها صلة وطيدة (بالأخلاق). والقران الكريم يؤكد على أهمية البناء الثقافي الصحيح فقد جاء في سورة الأعراف {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الأعراف/157). فهي تشير الى أهمية الاخلاق في جانبها العملي المرتبط بالمجتمع يقول السيد الطباطبائي (قدس سره) وقوله: "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي" الآية بحسب ظاهر السياق بيان لقوله: "والذين هم بآياتنا يؤمنون" ويؤيده ما هو ظاهر الآية أن كونه صلى الله عليه وآله وسلم رسولا نبيا أميا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم كل ذلك من أمارات النبوة الخاتمية وآياتها المذكورة لهم في التوراة والإنجيل فمن الايمان بآيات الله الذي شرطه الله تعالى لهم في كلامه: أن يؤمنوا بالآيات المذكورة لهم أمارات لنبوة محمد صلى الله عليه وآله فان النبي صلى الله عليه وآله يبيّن امة تحوي التلاحم التام بين السياسة والأخلاق و الثقافة فهو يصنع امة متكاملة وعلى مختلف المستويات بحيث تجد التناغم التام و على مختلف الأصعدة (الطباطبائي، 1973م، ج268/8).

1-4. الفرق بين السياسية والاستبدادية الأخلاقية (البوليتيك)

تحاول العديد من الاطروحات ان تخلق بين السياسة كعلم له قواعده وأخلاقيته ومنهجه العلمي وبين الممارسات الاستبدادية والأخلاقية والذي أصبح دارج على الألسنة في بعض البلدان. ولان بعض المفاهيم قد لا تتضح الا بتميزها عن المفاهيم الأخرى المقاربة لها او التي تبدو انها تعطي ذات الدلالة.

فالبوليتيك هي -الصورة المزيفة للسياسة-وهي لا تتحدد كشيء له مدلول في عالم المفاهيم ولكنه تاريخ طويل في بلادنا. (بن نبي، 2019، ب، 63)

و(البوليتيك): هي عندما يرتفع الصخب في السوق وتكثر حركات اليد واللسان وعندما لا يسمع الشعب غير الحديث عن الحقوق دون ان يذكر بواجباته وعندما يشرع بالطرق السهلة الناعمة فتلك هي (البوليتيك) فالسياسة هي استيطان القيم بينما البوليتيك هي قذف مجرد الكلمات. (بن نبي، 2019، ب، 63)

فعلى العكس من السياسة التي تشترط العمل السياسي الواضح وتجسده ميدانيا بشكل نصوص دستورية او ميثاقية او قانونية وحماية الإنسان البسيط من الاجحاف والاستبداد والتلاعب بالقوانين والاعراف نجد (البوليتيك) تعني الفساد والاضطهاد والوسوسة والتسويس الخ. (بن لرنب، 2001، 190-191)

وللمقارنة بين السياسة و(البوليتيك) ومعرفة الفرق بينهما يمكننا القول:
أ- السياسة تحتوي على الجانب الأخلاقي اما (البوليتيك) لا يحتوي على الجانب الأخلاقي.

ب- السياسة تصدر عن فكر اما (البوليتيك) تصدر عن عاطفة.

ج- السياسة تتمحور حول عالم الافكار اما (البوليتيك) تتمحور حول عالم الاشخاص.
د- السياسية تتصف بنظريتها الشمولية اما البوليتيك تتصف بنظريتها الذرية والتجزئية.

ه- السياسة تقوم على قيم الواجب اما (البوليتيك) يقوم على قيم الحقوق.
و- السياسة تبتكر الوسائل وبالتالي تتجه الى البحث عن الحلول وتحقيق الفعالية اما (البوليتيك) تكتفي بالتعبير عن الحاجات ورفع الشعارات الفارغة.
ز- السياسة تتميز بالعمل السياسي الصحيح بتصور العلم والوضوح ووسائل تحصين هذا العمل من الاحباط حتى لا يبقى حبرا على ورق (في نص الدستور او الميثاق او يبقى مجرد لائحة) وكذا تصور جهاز يحفظ المواطن من اجحاف العمل تدرك السياسة كما يرى بن نبي بأن العلم يضمن لها على الاقل ألا تصير (بوليتيكا) اما الرواسب التي يخلفها (البوليتيك) في البلاد تجعل من الصعوبة تنفيذ القانون بل تعرضه للازدراء (والبيروقراطية).

وبهذه الشروط يتضح مفهوم السياسة ويكون بهذا تعريفها تعريفا علميا صحيحا قائما على اسس علمية صريحة ومرجعية فكرية موضوعية. (بن نبي، 2019، ب، 65)

والنتيجة إن السياسة تتجه الى النقد الذاتي وتحمل المسؤولية بينما ما تتجه (البوليتيك) الى القاء التبعة على الآخر المتمثل بالظروف العالمية او الاستعمار او غير ذلك وهذا يؤدي بالسياسة الى البناء وتحقق النهضة بها ويؤدي (البوليتيك) الى التخلف والتبعية والفشل. ولهذا نجد ان القران له موقف ضد الطاغوت والتجبر والفهر والظلم يقول تعالى {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (البقرة/256). وقال كذلك {الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} (النساء/60). جاء في تفسير هذه الآية وكما أوضحت الآية السابقة أن الله ورسوله هما المرجع والحكم في فض النزاعات، أما هذه الآية فتحمل بشدة على أولئك الذين يتحاكمون إلى الطاغوت لفض النزاع والاختلاف نشب خلاف وخصومة بين رجل من المسلمين المنافقين وأحد اليهود، فصار الأمر إلى التحكيم، فاختار اليهودي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حكماً بينهما وذلك لما عرف عنه من عدل وحياد، وعلمه أنه لا يجوز في الحكم ولا يأخذ الرشوة، فقال: أحاكم إلى محمد، ولكن المنافق قال: لا بل بيني وبينك كعب بن الأشرف (لأنه يأخذ الرشوة وهو من أقطاب اليهود)، وبذلك رفض التحاكم إلى رسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم، فنزلت الآية الكريمة لتوبخ أمثال هذا الرجل المنافق، وتشجب بشدة موقفهم المشين. (القراءتي، 2014، ج83/2).

5-1. (كمنوليث اسلامي)

وهي رؤية مستقبلية لبناء وحدة سياسة في إطار المبادئ الإسلامية.
يقترح ابن نبي مشروعا خاصا لبناء وحدة سياسية في إطار المبادئ الإسلامية وهذه الفكرة هي مشروع (كمنوليث اسلامي). وهذه الفكرة هي: بحث يرمي إلى تخطيط وحدة جغرافية سياسية معينة مع احتفاظها بوحدتها الروحية التي تعد عاملا جامعاً أساسياً ومبدأً موحداً يجب ان يطبق في أي محاولة تخطيطه لتطبيقه. (بن نبي، 2019، د، 7) فيقول: (تقوم الوحدة الإسلامية على وحدة الدين والدين عقيدة وعبادة وفضيلة وتعاون على البر والتقوى والعدل...). (ابو زهرة، دت، 248) حيث يقول تعالى {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ

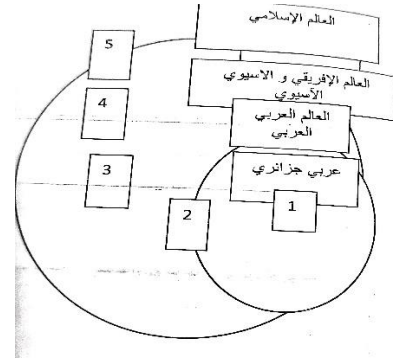
إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (المائدة/2). ويرى مالك بن نبي أن الخطوط العريضة (للكمنوليث الإسلامي) هي:

- أ- الجانب الجغرافي السياسي (وهو أن يستشعر المسلم أنه يعيش في مجتمع غير مخطط).
 - ب- الجانب النفسي (وهو أن يرى العالم الإنسان أنه يحمل في طياته بذور الثورة).
 - ج- الجانب الفني وهو: فالعالم الإسلامي إزاء عوالم إسلامية عديدة منها: الأفريقي العربي الإيراني الماليزي الإندونيسي.
- ومن أجل تخطيط العالم الإسلامي لابد من عمليتين:
- الاولى: عملية مكاملة (وهي الوحدة الروحية بين الشعوب الإسلامية والتي تسهل عملية البناء.
- الثانية: عملية التبويب (وهو تقسيم العالم الإسلامي الى عوالم إسلامية).
- ولذلك يعتبر (الكموليث) كاتحاد فيدرالي بين العوالم الإسلامية يترأسه مؤتمر إسلامي يقوم بدور الهيئة المنفذ لهذه الاتحاد الإسلامي. ويقصد بذلك نظام الولايات الذي قام عليه الحكم الإسلامي ومشى عليه الامام علي عليه السلام ابان خلافته.

وظيفة (الكموليث الإسلامي)

(يرى مالك بن نبي أن للكموليث الإسلامي وظائف عدة هي:

- أ- مناطق الحضور: إن فكرة الكموليث الإسلامي هي تمديد للمنظر الذي يتكون فيه الإنسان المسلم وبالتالي هي امتداد في مستواه الشخصي. (بن نبي، 2019، 54)
- إن وعي المسلم يتكون في وسط معين من الدوائر التي نستطيع تخطيطها في اعتبارنا لها بالنسبة الى الفرد -عربي جزائري- لا يتعدى نطاق حضور الدائرة المشار إليها بالرقم (1) (بن نبي، 2019، 54).



الشكل رقم (1)

إن انتقال الإنسان المسلم من دائرة موطنه الى دائرة العالم الإسلامي حيث تحتل فكرة الكموليث الإسلامي مكانها تجاه اكتماله الطبيعي في عصر المساحات الكبيرة المخططة. (بن نبي، 2019، 55)

- ب- الشهادة: إن تخطيط الدوائر -اي مناطق الحضور- تناولت مشكلة الإنسان المسلم باعتباره ممثلاً لفاعله او مؤلف لها ولكن القرآن الكريم يعنيه لدور آخر وهو دور الشاهد او الشاهد الأمين لأعمال الآخرين.
- يقول تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}. (البقرة/143).

و(الشاهد) في أساسه(الحاضر) في عالم الآخرين فالمسلم مجبر على الحياة في اتصال وثيق بأكبر عدد من الذوات البشرية ومشاكلها كذلك ودوره هنا ليس سلبي بل يؤثر على الأشياء وعلى أعمال الآخرين فرسالة المسلم في عالم الآخرين لا تتمثل في ملاحظة الوقائع ولكن في تبديل مجرى الأحداث بردها الى اتجاه الخير ما استطاع الى ذلك سبيلا. (بن نبي، 2019، د، 57-58)

ج- الرسالة: في الوقت الذي يكون فيه شاهد يتعين عليه ان يصبح (رسولا) أعني صاحب رسالة يبلغها للآخرين حيث يستند الى قول الرسول ' في حجة الوداع حينما قال: (ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) وهذه رسالة لكل مسلم حاضر إزاء الغائبين والحاضر لا يمثل شخصه وجيله بل كل الاجيال التي تأتي بعده. (بن نبي، 2019، د، 58-59)

2- مكانة الدين عند مالك بن نبي

قبل الدخول في معالجة المرجعية الإسلامية للفكر السياسي عامة وعند مالك بن نبي خاصة والنهضة الإصلاحية التي ينحى نحوها. علينا من الناحية المنهجية الحديث عن مكانة الدين عند مالك بن نبي وعلى مستويين:

المستوى الأول: مكانة الدين بصورة عامة في فكر مالك بن نبي.
المستوى الثاني: مكانة الدين في البعد السياسي عند مالك بن نبي.

2-1. مكانة الدين بصورة عامة عند مالك بن نبي

2-1-1. البعد الديني للفكر السياسي عند مالك بن نبي

2-1-1-1. الدين كضرورة وجودية

في ضوء القرآن الكريم والسنة عرف مالك بن نبي الدين بقول بأنه: (ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها) (بن نبي، 2019، ح، 289).

وبعبارة أخرى الدين كأنه مطبوع في النظام الكوني قانونا خاص بالفكر الذي يطوف في مدارات مختلفة من الإسلام الموحد إلى أحط الوثنيات البدائية حول مركز واحد يخطف سناه الأبصار وهو حافل بالأسرار الى الأبد. (بن نبي، 2019، ح، 289)

نستنتج من هذا بانه لا فكاك للإنسان من الدين فهو الذي يدور حوله الوجود التاريخي للإنسان وجودا وعدما.

وبعبارة أخرى هو: المصدر الذي يستلهمه الإنسان من أجل ملء الفراغ الكوني الذي يجد نفسه مغمورا به عندما يبدأ مرحلة الوعي برحلته الطويلة في هذه الحياة. (النقيب، 2009، 53)

ولذلك عرف علم الاجتماع الإنسان على انه حيوان ديني.

بل ان مالك بن نبي يجعل من الدين حاجة فطرية مثلها مثل الحاجات الحيوية فكلما كانت الحاجات البيولوجية تضمن للإنسان وجوده فإن تلبية هذه الحاجة الروحية تمنح لهذا الوجود المعنى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (الروم/30). فنفسية الفرد في المجتمعات التاريخية مفعمة بالنزعة الدينية تلك

التي تعد جزءا من طبيعة الفرد. (بن نبي، 2019، س، 53) ومعنى ذلك أن الدين يتدخل في هذا البناء أعني في تحديد العناصر الشخصية للفرد أو الأنا. وتتجلى قيمة الدين بالنسبة للفرد في تلبية حاجة الإنسان إلى ذات عظيمة تسنده وتتجاوز طاقة البشر. (بن نبي، 2019، س، 54) يقول تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}

(البينة/5). فالآية تتكلم عن أهمية الدين وان الدين الحق هو ضرورة للإنسان فالدين حقيقة وجودية خالدة تستعر في الفطرة البشرية أو الطبيعة وهذا يتجاوز عند مالك بن نبي مجرد اعتقاد ذاتي بل هذا أمر موضوعي يفرض نفسه على الإنسانية جميعا كما يمكن ملاحظته في وعي ولا وعي الإنسان ويتجسد في حياته النفسية أو الفردية فضلا عن حياته الاجتماعية والحضارية أيضا.

2-1-1-2.. الدين ضرورة اجتماعية

قد يتجاوز الدين كونه ضرورة فردية الى كونه ضرورة اجتماعية باعتبار ان الدين يمنح الوجود الفردي المعنى الحقيقي فبدلك يدخل به التاريخ بان يحوله من مجرد فرد الى كونه شخص له كيانه الخاص وعندما يقفز به من حالة الفرد الذي ينتمي الى جماعة بحكم الغريزة الى شخص ينتمي الى مجتمع بحكم الدين يقول سبحانه {كُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} (المائدة/48). فانه لا بد للناس من دين ومنهاج وشرعة. فالشخص هو نتاج عملية إدماج رئيسية تمنح نشاط الغرائز كل فاعليتها الاجتماعية حين تضع طاقتها في خدمة الأفكار والمبادئ. (بن نبي، 2019، ص، 54) وهي التي تصنع حضارته باعتبار الوظيفة الدينية هي العلة في قيام الحضارة وسقوطها.

فالبناء الحضاري لا يقوم على البقاء بمقدمات الفن والعلم والعقل فحسب لان الروح والروح وحده هو الذي يتيح للإنسانية ان تنهض وتتقدم فحيثما فقد الروح سقطت الحضارة وانحطت لان من يفقد القدرة على الصعود لا يملك إلا ان يهوي بتأثير جاذبية الأرض. (بن نبي، 2019، ص، 21)

بهذا الاعتبار فان مالك بن نبي يرى ان الدين هو الذي يجمع بين عناصر الحضارة الثلاثة: الإنسان والوقت والتراب. وباعتباره المركب الذي بدوره تبقى هذه العناصر منفصلة عن بعضها البعض. وبالتالي فالدين هو الذي يصنع الحضارة فالحضارة لا تنبعث -كما هو ملاحظ- إلا بالعقيدة الدينية... فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجا او هي -على الأقل- تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبد غيبي. (بن نبي، 2019، ص، 43)

يتضح من ما سبق ان مالك بن نبي يرى ان الحضارة صناعة دينية بحثه واي عملية استبعاد لهذا المؤثر هو محض عبث ويظهر ذلك جليا في السياسة الماركسية مثلا. وان اي تفسير يبعد الدين كعنصر جوهري للحضارة يعتبر من قبيل الافتراء على الدين ذاته. ومثاله النظرية التي تقدم بها الفيلسوف الالماني (شبنجلر) الذي يرددها الى عامل العبقورية التي تسمى جنساً ما وهي نظرية عنصرية قومية ينتقدها مالك بن نبي. بقوله وهكذا نجد في هذه النظرية العامل العنصري الذي يتسرب على يد (شبنجلر) الى المذاهب التاريخية (بن نبي، 2019، ص، 54)

والحال كذلك مع نظرية (أرلوند تويني) التي تتكلم على عنصر التحدي والاستجابة حيث تجعل من عنصر التحدي عاملا جغرافيا حيث تؤدي الاستجابة الناجحة الى ظهور حضارة. لكن مالك بن نبي يرد على هذه النظرية من خلال تقديمه لمثال الحضارة الإسلامية حيث يقول باننا لا نرى في تكوين هذه الحضارة العامل الجغرافي أو المناخي في شكل تحد معين حسب نظرية (تويني). (بن نبي، 2019، ص، 55)

ومن المعلوم ان الحضارة الإسلامية انطلقت من بيئة جغرافية ومناخية -شبه الجزيرة العربية- لكن لم يتغير فيها شيء عند انطلاقتها. ومع ذلك فان مالك بن نبي يقدم نظريته والتي تقوم على اساس (ديني). ويدلل على ذلك بأمثله عدة فالحضارة الغربية مثلا تأسست على الفكرة الدينية المتمثلة بالمسيحية.

ان الفكرة المسيحية قد اخرجت اوربا الى مسرح التاريخ ولقد بنت علمها الفكري... على (سقراط) باعث الافكار و(افلاطون) المؤرخ لتلك الافكار و(ارسطو) مشرعها غير ان هذا العالم الذي التفت به ثانياً وهي تقتفي أثر الحضارة الإسلامية قد اكتسب منذ (توماس الكويني) صبغة مسيحية. (بن نبي، 2019، 32-33) ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (النساء/173). ويعطي مالك بن نبي مثالا على ذلك من الحضارة الغربية عن مشروع يتمثل في حضارة الاطفال اذ يعتقد للوهلة الاولى ان نشأتها مدنية انطلاقاً من كون ان الجهة الحالية القائمة على تسيرها مدنية ولكن في حين لو درسنا تاريخها ورجعنا الى اصول فكرتها الاولى لوجدناها ذات أصل مسيحي فهي تدين بالفضل الى القديس (فإنسان ديبول) الذي أنشأ مشروع الاطفال المشردين خلال النصف الاول من القرن السابع عشر. (بن نبي، 2019، 73)

2-1-1-3.. المرجعية الإسلامية لفكر مالك بن نبي

يتضح لكل من تعرف او درس فكر مالك بن نبي أو اطلع عليه أمران: الأول: تدينه الشديد وهو الأمر الذي عمل وسطه الاجتماعي وظروفه وطبيعة نشأته في طفولته وشبابه الدور الابرز في وجوده.

الثاني: ثقافته وقناعاته الإسلامية التي لم تزدها دراسته وتعمقه في المشكلات الا رسوخاً وتأكداً. لذا تجده كثيراً ما أعلن عن خلفيته الإسلامية والتي لا تقتصر على حياة متدينة بل تتجاوزها الى العمل على الذود والدفاع عن فكر وحضارة الإسلام والقرآن الكريم والعمل على بنائها بناء سليم من جديد عبر معرفة المعوقات وتشخيصها ورسم الطرق التي تمكن من تجاوزها. يؤكد مالك بن نبي من حيث المبدأ باعتباره إنسان متديناً على ضرورة اعتبار الإسلام كإطار مرجعي أساسي في التعامل مع مختلف المشكلات التي نواجهها في بلادنا وحياتنا وفي اية محاولة للنهوض والبناء في العالم الإسلامي (النقيب، 2009، 233).

يأتي هذا الكلام ليدعم النتائج التي توصل اليها مالك بن نبي حول عجز الغرب عن ايجاد الحلول للمشكلات المزمنة التي اصبحت تتخبط فيها البشرية والغرب خاصه (اوربا وامريكا) وخصوصاً في المجالات الأخلاقية والروحية فصنوف الغدر والخيانة والقتل تزداد استتراء كل يوم في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بل وحتى التكنولوجية والعلمية. وهذا ما يفسره مالك بن نبي بفوضى العالم الغربي بالتالي يجب على العالم الإسلامي البحث عن الحلول لمشاكله داخل حدوده.

وأياً كانت وجهة الامر فان العالم الإسلامي لا يستطيع في غمرة هذه الفوضى ان يجد هداه خارج حدوده بل لا يمكنه في كل حال ان يلتزمه في العالم الغربي الذي اقتربت قيامته ولكن عليه ان يبحث عن طرق جديدة ليكشف عن ينابيع إلهامه الخاص. (بن نبي، 2019، 98) وكمثال على

ذلك تجده يشير في كتابه ميلاد مجتمع الى ان المشكلة التي تواجه المسلم اليوم هي تقريبا نفس المشكلة التي عبر عنها قول مالك بن انس -امام المذهب- (لا يصلح اخر هذه الأمة الا بما صلح به اولها). وفي سياق تعليقه على قوله تعالى في سورة الاسراء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الاسراء/70).

تجد دعوته الى تأسيس ثقافة اسلامية تقوم على هذا المبدأ يرعاها قاده العالم الإسلامي. ولهذا نجد ان القرآن يؤكد على مرجعية الإسلام والنبي فقد جاء في سورة الأحزاب ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (الأحزاب/6). حيث

تصل مرجعية النبي الى ان له حق التصرف بالمؤمنين فضلا عن ما يتصل بهم ومثلها قوله تعالى {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} (النساء/83).

ثم يقول: وسنرى من خلال مراعاة هذا المبدأ ضرورة تنشيطه بإقامة ثقافة مناسبة لحال المجتمع الإسلامي لتطبيقها بمفهومها الاجتماعي وعلاقاتها التاريخية الجديدة. وجدير بالقادة المسلمين ان ينظروا الى المشكلة في هذا الاتجاه فيترجموا قيم الإسلام الروحية الى قيم اجتماعية. (بن نبي، 2019، خ، 212)

ولفعالية هذه المرجعية ولإثبات قدرتها على التعامل الناجح مع المشكلات المختلفة الذي تعرض لها العالم الإسلامي بل والعالمي يشير مالك بن نبي الى ضرورة تحويل هذه المبادئ التي اثبتت صحتها وصلاحياتها الى قيم اجتماعية تسمح بتشكيل ثقافة ونظام اجتماعي وسياسي واقتصادي يكون الدليل الواقعي على نجاعة الإسلام والقرآن الكريم. وتبقى مرجعية العلم والعلماء أساسا ثقافيا لا بد منه يقول تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (النحل/83)

فيقول فليس الامر من بدايته امر مبادئ او فروض وانما هو امر ترجمتها الى وقائع واحداث... ففي التاريخ يجب ان يتحول العنصر الروحي الى عنصر اجتماعي وفي الإطار التاريخي -أعني خارج نطاق الخلود- يعد الإسلام واقع المسلمين فأى حكم على هذا الإسلام التاريخي هو بصفة جوهرية حكم على نشاط انساني متطور خلال القرون. (بن نبي، 2019، خ، 178)

2-1-1-4.. السياسة ومبادئها عند مالك بن نبي

اتضح من ما سبق ان مالك بن نبي اتخذ من الإسلام والقرآن الكريم مرجعا له في صياغته لنظريته في السياسة حيث اكد على البعد الأخلاقي لهذا المفهوم فالسياسة لا بد لها ان تكون أخلاقية جمالية وعلمية لكي يكون لها معنى. (بن نبي، 2019، ر، 102) ولذا تجده يستخرج جملة المبادئ التي يضعها للسياسة الإسلامية كما يتصورها هو من الاصول المؤسسة للحضارة الإسلامية، ونقصد بهذه الاصول:

اولا: القرآن الكريم.

ثانيا: السنة النبوية بشقيها العقلي والعلمي.

وتتمثل جملة هذه المبادئ فيما يلي:

أ- الطاعة: من المبادئ الأخلاقية التي لا قوام للدولة الا بها هي الطاعة مصداق لقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}. (النساء/59).

وهذه الطاعة ليست مطلقة بل هي بدورها منضبطة بضوابط الشرع. (يوسف، د. ت، ص95)

ب- الثقة: وهي من اهم عناصر حفظ الدولة الوليدة وبقائها وازدهارها وهو ما يجب الاهتمام به هو علاقة الحكم بالمحكوم والتي تبني على عنصر الثقة لذا يرى مالك بن نبي ان الذي ينبع من العقيدة... كون العقيدة تدعم التعاون بين الدولة والفرد وتمكن من انجاز مهمات عظيمة. (يوسف، د. ت، ص91)

ج- النقد الذاتي: وهو الاقرار بالذنوب او الاعلان عن الخطيئة في عرف الإسلام فقد يتراجع الحاكم من مواقف اتخذها لخطا ما واعلان ذلك على الاشهاد وهو كفيل بمد جسور الثقة بينه وبين محكومة وهذا ما يؤدي الى ازدهار الدولة ذاتها. (بن نبي، 2019، أ، 193)

د- مبدأ التبادل: وهو يؤسس على الآية الكريمة {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران/110). وهذا المبدأ يكون بين الفرد والمجتمع فالأفراد يتولون دور النقد للمجتمع في الحكم والإدارة اما المجتمع يرسم لأفراده أنموذجا سلوكيا معيناً يقتضي عدم مخالفته تحت طائلة ارغام المجتمع وهو سلوك وإن اقره الإسلام الا انه من خصائص المجتمعات المتحضرة ففي المجتمع المتحضر يقع كل خطأ في الأسلوب تحت طائلة النقد ويقع كل خطأ في السلوك تحت ارغام المجتمع. (بن نبي، 2019، 134)

هـ- مبدأ العدل: وهو مبدأ من مبادئ الإسلام السياسية السامية يرى مالك بن نبي في غيابه ايذانا بخراب العمران ويأخذ مشروعيته من قوله تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}. (النساء/58). (بن نبي، 2019، 55)

و- مبدأ الحسبة: وهي وظيفة سياسية وإدارية ظهرت بالمجتمع الإسلامي في العصر العباسي والمحتسب ينهض بالمحافظة على النظام والآداب في المجتمع وصارت اليه مهام الرقابة على الأسواق واهلها وبضائعهم ومكاييلها وموازينها والتأكد من جودة المصنوعات والتدخل في الأسعار والنظر في شؤون الآداب والأخلاق واصلها في القرآن الكريم قوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}. (آل عمران/104).

ولذا تجد ان مالك بن نبي تكلم عنها في معرض تأكيده على عنصر الثقة بين الحاكم والمحكوم فقال ان امام البلاد الإسلامية اليوم هذه الدروس في السياسة العليا التي صنعت المعجزات كما رأينا وان خلفها دروس الثقافة الإسلامية الرفيعة التي تتيح لها استعادة بعض المفاهيم التي لا تقدر بثمن كالحسبة: التي هي جديرة بإدماجها بالنظم السياسية للبلاد الاكثر حداثة وبالخصوص لهذه البلاد بالذات). (بن نبي، 2019، 103)

ز- الكفاءة والملائمة والنزاهة: وهي تشترط مجتمعة كشروط اساسية لتولي المسؤوليات في الدولة المسلمة ويقصد بها -مالك بن نبي- بالملائمة هنا الكفاءة لتولي المنصب فالنزاهة لا تكفي وحدها يجب ان تضاف اليها الكفاءة وأكثر من ذلك الملائمة. (بن نبي، 2019، 101)

2-2. المكانة التي يعطيها للدين في تفسيره لمختلف الإشكاليات التي تعرض لها.

2-2-1. إحياء الفكر السياسي الديني

إن التجربة السياسية والإسلامية في عهد النبوة والعصمة على الرغم من انها كانت اغنى تجربة في متانة أطرها النظرية وطهارة وسائلها بالمقارنة مع اي تجربة سياسية بشرية أخرى لكن الصراع السياسي والعقدي الذي ظهر مبكرا في المجتمع الإسلامي بعد ارتحال النبي ' كان له التأثير بنسبة معينة في وجه الفكر السياسي الإسلامي:

فمثلا موضوع الامامة والخلافة يعد من المباحث الاساسية في الفكر السياسي الإسلامي نظرا لأهميته وما يترتب عليه من مسائل وقضايا اساسية ومصيرية ومن هذه المسائل بل وأبرزها واطارها انفصال الدين عن السياسة او بالعكس. وقد جاء فصل الخطاب في هذه المسألة على يد الامام الخميني (قدس سره) بتأسيس الجمهورية الإسلامية على اسس دينية متينة وقد دحض بذلك فكرة الفصل بين الدين والسياسة. إذ ان عودة الإسلام الى الحياة وعودة الأمة الوسط لممارسة دورها على الساحة البشرية وعودة كيانها المسلوب بالقضاء على فكره انفصال الدين عن السياسة.

(الخميني، 1980، 4) وكان الشهيد مطهري يرى ان الاستعمار هو الذي طرح فكرة فصل الدين عن السياسة وروج لها في اواسط المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث. لذا كان يرفض بشدة نظرية الفصل بين الدين والسياسة بحيث ينزوي الدين جانبا ويبقى في إطار الامور العادية ولا دخل له بالسياسة واحكامها وكذا بالأحكام الاجتماعية. يقول الله تعالى {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} (المائدة/44). ويقول سبحانه {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (المائدة/45). ويقول كذلك {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (المائدة/47). فان هذه الآيات المباركة تشير الى حقيقة ثابتة وهي ان الحاكم الله لا سواء وكل ما عداه ظلم وفسق وكفر.

ولهذا يقول لا يمكنني ان اصدق ان أحدا يعيش في البلاد الإسلامية ولا يعلم هذا الحد من منطق الإسلام اننا نعرف منذ نصف قرن هذه النعمة الجديدة والتي ترى الإسلام جيدا ما بقي محصورا في المساجد والمعابد ولم يدخل في شؤون المجتمع. (مطهري، 1997، 112)

وان هذه النعمة وهي القول بفصل الدين عن السياسة يرى الشهيد مطهري قد ارتفعت الى ما بعد الحدود الإسلامية لكن تم نشرها واذا عتها في البلاد الإسلامية كافة وقد أطلق عليها اسم (العلمانية) وهذه النظرية لا تتسجم مع التعاليم الإسلامي البتة.

وقبول هذه النظرية يعني فصل أحد اعضاء البدن الإسلامي اذ ان فصل الدين عن السياسة بالمفهوم الذي يعتبر بطله (اتاتورك) فهو قد جر على تركيا الولايات والسير نحو التعاسة والهاوية. لذا يقول الشهيد مطهري في الدين -اي دين- وخاصة في الدين الإسلامي يعتبر الإسلام السياسي هي أحد أعز الاجزاء وفصل الدين عن السياسة بمعنى فصل أحد اعز اعضاء الإسلام عن جسد الأمة الإسلامية. (مطهري، دت، 75)

وهذه النظرية ليست وليدة اليوم كما يخيل للبعض بل هي عبارة عن افرازات تاريخية كما يعتقد الشهيد مطهري لذا كان يرى ان أكبر ضربة تلقاها جسد الأمة الإسلامية والتي ادت الى فصل الدين عن السياسة هو بأبعاد الخلفاء الشرعيين وجلس أشخاص آخرين مقامهم. فالدين انفصل عن السياسة حتى لو كان في زمان غيره ما زال هنالك انسجام بين الدين والسياسة الى حد ما ولكن بذرة فصل الدين عن السياسة قد بذرة في ذلك العهد. (مطهري، 1992، 32)

فالشهاد مطهري يصور رابطة الدين والسياسة على انها رابطة الروح والبدن او القشر واللب والفصل بينهما هو الفصل بين الروح والبدن او بين القشرة ولبها.

فيقول ان النسبة بين هذين الامرين هي بمثابة النسبة بين الروح والبدن يتوجب ارتباطهما معا والا تلاشى كل منهما إن فلسفة القشر في حفظ اللب أما القشر فيتقوى من اللب فلكل منهما دور ووظيفة اتجاه الآخر واهتمام الإسلام بالسياسة والحكومة والجهاد والقوانين السياسية هو من هذا القبيل بمعنى ان عناية الإسلام بهذه الامور ومن اجل حفظ الميراث المعنوي وهو التوحيد والمعارف الروحية والأخلاقية والعدالة الاجتماعية والمساواة والعواطف الإنسانية. (مطهري، 1992، 33) وهنا يرى مالك بن نبي ان الانفصال بين الدين والسياسة كان السبب في ما حصل

من ازمات عصفت بالأمة على مر التاريخ وعلى هذا الاساس والى جانب المحاولات التي قام بها الفقهاء لتطويع السياسة ضمن نطاقها الا ان العكس هو الذي حدث حيث تمكن النظام الملكي الاموي من تسخير الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة لصالحه وقام بتحريف المبادئ الإسلامية الأصلية وتشويهها كالقضاء والقدر والجبر والاختيار وغيرها وهذا الأمر يتطلب إعادة صياغة المنظومة المعرفية الإسلامية من الاول وذلك انطلاقا من تنقية النصوص الدينية وحتى تتمكن من اعاده بناء الحضارة الإسلامية على السياسة ان تخضع للفقه وتسير تحت كنفه لتستقم. فيقول مالك بن نبي ان التطور المعروف باسم الحضارة الإسلامية لم يكن في الواقع سوى محاولة للتوفيق بين واقع الأمر المتخلف عن (صفين) وبين ما جاء به الإسلام ولقد جهدت مدارس الفقه لتحقيق هذا التوفيق ووقف الائمة في وجه الحكم الملكي غير الإسلامي المتعصب المستبد حتى اننا نرى الحضارة

الإسلامية آنذاك لم تنشئ عن مبادئ الإسلام بل ان هذه المبادئ هي التي توافقت مع سلطه زمنية قاهرة فكل محاولة لإعادة بناء حضارة الإسلام يجب ان تقوم اولا وقبل كل شيء على اساس سيادة الفقه الخالص على الواقع السائد الذي نشأ عن (صفيين) ولا شك ان هذا يقتضي رجوعا الى الإسلام الخالص أعني تنقية النصوص القرآنية من غواشيها الكلامية والفقهية والفلسفية. (بن نبي، 2019ش، 43)

وكذلك يعتقد مالك بن نبي بارتباط الدين والسياسة وان هذه الرابطة إن انفكت فسوف يحدث الخراب والفساد في الأمة جمعاء
اذ يقول: ان كان العلم دون ضمير ما هو الا خراب الروح فالسياسة من دون أخلاق ما هي الا خراب الأمة. (بن نبي، 2019ب، 49)

إذن فالدين هو صمام الأمان للسياسة والفكرة الدينية تعتبر ركيزة مهمة في حياة الأمم وهي دليل على حيويتها وتقدمها او على جمودها وتخلفها في جميع المجالات سواء أكانت سياسية ثقافية اجتماعية اقتصادية.

اما الأمة القوية فهي التي يجتمع ابنائها على عقيدة واحدة ومبدأ واحد فحين تتمتع بوحدة الفكر فإن وجهه نظرها واحدة ومن ما يميز الأمة الإسلامية والتي هي من ابرز سماتها هي وحدة الفكر عندها التي تستمد من روح القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة فمن هذه القاعدة الفكرية تنبثق المفاهيم والقيم والثقافة والسياسة الناجمة.

يقول مالك بن نبي في ذلك السياسة التي تتطور تبعا ل(أفكار مجردة) تعانق بحكم الضرورة الضمير الشعبي ومن ناحية أخرى فإنها تلتزم المبادئ والمقاييس والقواعد التي تتحكم في سيرها فإنها بذلك تحمل في طبيعتها مبدأ التعديل الذاتي الذي يفرض عليها رقابة من نفسها معدلا بذلك حركتها واتجاهها عند الحاجة وكل حركة من حركاتها تتطلب كأي عملية حسابية تعقيبا على نتيجتها وتصحيحها تابعا لها فان السياسة المعقدة تراجع دائما نتائجها وهذه المراجعة تحميها من تدخل اي عامل اجنبي يحاول تغيير مجراها ومرساها لأنها تكون جهازا معدلا يطلق اشارة الخطر كلما حدث في الطريق اي حدث من شأنه ان يغير في الحركة او الاتجاه. (بن نبي، 2019ج، 16)

إذا أردنا ان تكون السياسة هادفة ومتطورة ومعبرة يلزمها ان تعبر عن مبادئ وافكار مجردة تماشي متطلبات المجتمع وان تكون خاضعة لمقاييس الدين والعقل وان لم تكن كذلك تكون منحرفة وتتحول الى خدمة الاشخاص ومصالحهم ومنافعهم الشخصية وليس فيها خدمة للمبادئ والقيم الإنسانية فستكون نتائجها وخيمة وقد تعصف بالمجتمع الإنساني فتكون مدمرة.

بحيث يعبر عنها مالك بن نبي بقوله ان السياسة التي تتمثل في افكار مجسدة... في البلاد التي لم تبلغ درجة معينة من التطور او التي سببت لها بعض الظروف وعواصف التاريخ نكسة في التطور وحركه تقهقر شامل كما حدث لألمانيا في عهد(هتلر) فان الفكرة تحل في شخص لتنشئ صورة سياسية خاصة وهذا بحكم شذوذاها عن مقاييس العقل تنشب بفرد تتجسد في ذاته فتتطور وتنمو وتنتظم طبقا لمصالحه الخاصة بحيث تقبح هذه المصالح تلقائيا هي المبررات والدوافع والمقاييس لسياسة عاطفية. (بن نبي، 2019ج، 16-17)

ان التغيير السياسي للمجتمع الإسلامي حسب اعتقاد مالك بن نبي لا يكون في الدرجة الاولى بالعمل السياسي وانما الاكثر خطورة منه في المدى البعيد هو صعيد الفكر يستلزم من ذلك ان تغيير البناء السياسي إذا لم يسبقه او يزاحمه تغيير في الافكار فيكون عملا يرغم المجتمع على اتخاذ وضع غير ملائم سرعان ما يتفجر في ثورات وانفعالات وتقيحات في جسم الأمة.

2-2-2. رأي الإسلام بالديمقراطية من وجهة نظر مالك بن نبي

يخلص مالك بن نبي بعد تحليله لمصطلحي الإسلام والديمقراطية لعدة نتائج:

1- ان الصلة مفقودة بين المصطلحين بالنسبة للزمان والمكان.

2- نظرا لهذا التباعد من حيث التاريخ والجغرافيا فانه من الممكن القول ليس هناك ديمقراطية في الإسلام.

3- انه لا يوجد مقارنة ابدأ بين مفهوم سياسي يفيد مجمله تقرير سلطة الإنسان في نظام اجتماعي معين وبين مفهوم ميثاقيزيقي يفيد مجمله تقرير خضوع الإنسان الى سلطة الله. (بن نبي، 2019، 40-41)

4- ان الأمر في الإسلام هو الله وفي الديمقراطية الإنسان هو الأمر النهائي او بمعنى اخر العقل البشري هو الذي يتكلم ويتحكم بالأمر.

5- ان الديمقراطية في الإسلام غير المفهوم الغربي فالحرية في الإسلام وباعتبارها جوهر الديمقراطية اذ انها ترفض استعباد الإنسان للإنسان الا انها ترى ضرورة الخضوع والعبودية لله (عز وجل).

يقول بن نبي قد تبين من الان ان الجواب عن السؤال المعروض في هذا البحث -هل توجد ديمقراطية في الإسلام- لا يتعلق ضرورة بنص فقهي مستنبط من السنة والقرآن الكريم بل يتعلق بجوهر الإسلامي عامة. (بن نبي، 2019، 47)

ثم يقول اما الإسلام فانه يمنح الإنسان قيمة تفوق كل قيمة سياسية او اجتماعية لأنها القيمة التي يمنحها الله له في القرآن الكريم {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (الاسراء/70). فهذا التكريم يكون -أكثر من الحقوق والضمانات- الشرط الإنساني للتعبير ملازم في نفس الفرد طبقا للشعور الديمقراطي سواء بالنسبة الى الأنا ام بالنسبة الى الآخرين والآية التي تنص على هذا التكريم تبدو كأنها نزلت لتصدير دستور ديمقراطي يمتاز عن كل النماذج الديمقراطية الأخرى فنظرة النموذج الإسلامي الى الإنسان هي نظرة الى التكريم الذي وضعه الله فيه اي نظرة الى الجانب اللاهوتي فيه بينما النماذج الأخرى تمنحه النظر الى الجانب الناسوتي والجانب الاجتماعي. (بن نبي، 2019، 48-49)

ثم يتحول لشاهد من السنة الشريفة يذكر النبي ' هذه التوجيهات كلها في حجة الوداع... ومعنى التصريح بحقوق الإنسان فيقول: (يا ايها الناس ان ربكم واحد... ان اكرمكم عند الله اتقاكم... ليس لعربيا على أعجمي... الا بالتقوى).

فهذا الحديث يكمل في مناسبة يملؤها الجلال والتأثير في فلسفة الإنسان ومنهجه في المشروع الديمقراطي الإسلامي. (بن نبي، 2019، 52-53)

اما حرية التعبير فأنها دخلت في العرف منذ الايام الاولى من العهد الإسلامي فالنبي ' كان يعود اصحابه مناقشة آرائه وتقاريره ففي يوم بدر نراه ' يحدد ميدان المعركة في المكان الذي ظهر له الانسب لذلك ولكن أحد اصحابه من الانصار اقترح مكانا غيره.

وفي الختام يقول بن نبي إن هذه التفاصيل كلها تكون في الحقيقة السمات العامة لما يسمى ديمقراطية سياسية اي سمات النظام الذي يمنح الضمانات المناسبة ضد كل تعدٍ من جانب الحكم والإسلام نظام من هذا النوع. (بن نبي، 2019، 56)

ويعرج على التحول التاريخي الذي جرى في واقعة (صفين) فيقول: إن الامثال التي اوردناها هنا قد انتقيناها من الفترة التاريخية التي بينا حدودها الزمنية بين الهجرة (وصفين)... الذي يقتصر فقط على وصف الطابع الخاص بالعهد الديمقراطي الإسلامي أي المرحلة التي تنتهي مع الخلفاء الراشدين مع واقعة (صفين) التي تمثل نقطة التحول في تاريخ العالم الإسلامي؛ اذ لا شك ان عهد معاوية مثلا كان من الوجهة التي تهمنا هنا عهد تفقهر الروح الديمقراطية الإسلامي. (بن نبي، 2019، 60)

ويقول كذلك يجب من الان ان نعمل على ظهور سلطة روحية تجمع الراي وتوحد الصف بالنسبة للمسلمين في العالم كله وانما يجب من الان ان نعيد النظر في قضية الخلافة الإسلامية فقد باتت

ضرورة عالمية وحيوية وليكن لها اي اسم ولكن ليكن هدفها توحيد الصف الإسلامي والراي الإسلامي في كل مكان على ظهر الارض. (مجلة الوعي الاسلامي، 1390، العدد33)

خاتمة واستنتاجات

أولاً: ان الفكر السياسي لمالك بن نبي أساسه البعد الديني والحضاري بما يمثله من مرجعية له بحيث يكون اطاره الشامل لكل فكره السياسي والإنسان كوسيلة لتنفيذ هذه المشاريع وغاية لها ولاستكمالها.

حيث يقوم مشروعه السياسي على:

- 1- ان الدين إطاره الموضوعي فهو القاسم المشترك لكل نهضة حضارية.
- 2- اعتماد الحضارة كإطار شامل للفكر وللنشاط الإنساني (وهو اعتماده كوحدة للتحليل والبحث).

3- اعتبار الإنسان الغاية والوسيلة لكل مشروع سياسي (وهو بذلك يجب تكييفه مع مقتضيات المرحلة السياسية وذلك بإخضاعه لعملية توجيه تشمل جميع مناحي الحياة).
ثانياً: ان التحديات تجعل الفكر الديني قادرا على النهوض بالعالم الإسلامي وبعبارة أخرى ان الأسس والمبادئ محطة انطلاق لأحياء الفكر السياسي الديني تنطلق من مبادئ عقائدية ك (مسألة الخاتمية) واسس تاريخية ك (مسألة النظرة المشرقة للمستقبل) وقواعد سياسية واجتماعيه ك(نظرية الثابت والمتغير) ومباني ثقافية ك(مسألة التبادل الثقافي بين الشعوب).
ثالثاً: ان الاحياء الحضاري (للسياسة)في ضوء الفكر الديني كما يعتقد ذلك مالك بن نبي لابد ان يكون على مستوى عالم الافكار وعالم الاشياء وعالم الأشخاص من خلال حل الازمات التي يعاني منها كل عالم من العوالم الثلاثة بل هذا غير كاف فلا بد من ملاحظة حيثية الأخلاق والصدق والفعالية في الفكرة حتى تكون قابلة للتطبيق كما يجب مراعاة الانسجام بين البعد العملي والرؤية الكونية، فينتج من ذلك:

- 1- ان من خصوصيات الفكر الديني والذي تميز بالبعد العقلي والثبات والفاعلية والأخلاقية والبعث على الحياة والعمل والبعد الحضاري.
 - 2- ان الاليات والمناهج التي يمكن الاستفادة منها في عملية احياء الفكر هي العقل والوحي والشهود وفلسفة التاريخ والسنن التاريخية ورسم الصورة الصحيحة عن العلاقة بين الدين والعلم.
 - 3- ان الأسس والمبادئ هي التي تجعل الفكرة الدينية قادرة على بعث الحياة في الفكر الإسلامي ومعالجته للأمراض التي تعاني منها السياسة لكي تكون ناجعة.
- رابعا: بعد استعراض التعاريف المختلفة للسياسة في الفكرين الإسلامي والغربي فانه يمكن الخروج بنتيجة كبيرة واحدة هي الاختلاف الجذري بينهما، فنصل بذلك إلى أنه:
- 1- ان هذا الاختلاف الجذري مرده إلى اختلاف الجذور الحضارية لكل واحد منهما.
 - 2- إن تسميتها ب (السياسة الشرعية) وهي التسمية الأكثر تداولاً عند فقهاء الإسلام ولا يخفى ارتباط هذا المصطلح بالدين.
 - 3- استناد السياسة الى اصول الشريعة باعتبارها المرجعية التي تستسقي منها شرعيتها ومضمونها.
 - 4- ربطها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفعل الاصلح للامة في ما يوافق الشرع.
 - 5- البعد الأخلاقي وسيطرته على مفهوم السياسة وان كان وجوده بتبعية للمفهوم الديني عموماً للسياسة عند المسلمين.

- 6- باستثناء الحقبة الوسيطة من الحضارة والثقافة الغربية حيث ارتبط الفكر السياسي الغربي ومفهوم السياسة تحديداً بـ (البعد الأخلاقي) بتأثير من المسيحية الوافدة من الشرق.
- 7- يبقى تعريف السياسة عند مالك بن نبي هو الأمثل حيث عرفها وجعل لها شروط فهي العمل الذي تقوم به جماعة منظمة على صورة دولة ويشترط وضوح عمل الدولة وإيجاد طريقة لحماية هذا العمل.
- خامساً: يرى مالك بن نبي أن الفكر الغربي سرعان ما ارتد إلى أصوله المادية النفعية المستندة إلى معيار القوة ولكن في المقابل:
- 1- ظل الفكر السياسي الإسلامي وفيما لمبادئه التي انطلق منها ذات ليلة في غار حراء وزكته الممارسة السياسية في عهد الرسول '.
- 2- لقد رأينا كيف ربط مالك بن نبي تعريفه للسياسة بالأخلاق وهو بعمله هذا يؤكد من جهة على حقائق موضوعية تفرضها طبيعة الاجتماع الإنساني باعتبار السياسية تنظيماً لهذا الاجتماع بما يلزمه ويقوم على مصلحة جميع أفرادهِ وليس على بعضهم دون البعض.
- 3- سيطرة البعد الروحي والأخلاقي على مختلف الحلول والبدائل التي قدمها مالك بن نبي كنظام سياسي أو كيان سياسي يجمع شتات الأمة أو كمبادئ راس ينتظم فيها العالم وهذا ما يميز السياسة عن البولتيك.
- 4- الديمقراطية الإسلامية تراعي الشعور نحو الذات والغير وتوفر الضمانات الموضوعية لذلك إلى (كمنوليث إسلامي) يقوم على أسس روحية خالصة وإلى نظام عالمي جديد يقوم على معايير الأخلاق والروح كبديل عن معايير القوة والمادة.
- 5- من النقاط المهمة التي أشار إليها بن نبي هي العمل من الآن على ظهور سلطة روحية تجمع الرأي وتوحد الصف بالنسبة للمسلمين في العالم كله وإننا من الآن علينا أن نعيد النظر في قضية الخلافة الإسلامية... فقد باتت ضرورة عالمية وحيوية... وليكن لها أي اسم ولكن ليكون هدفها توحيد الصف الإسلامي والرأي الإسلامي في كل مكان على ظهر الأرض...

والحمد لله رب العالمين

المصادر

القرآن الكريم

- 1- أبراش، إبراهيم، علم الاجتماع السياسي، دار الشروق، عمان، ط1، 1998.
- 2- ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وتصحيح: هارون، عبد السلام محمد، ناشر: مكتب الاعلام الإسلامي، قم إيران، الطبعة الأولى، 1404 هـ. ق،
- 3- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1993.
- 4- أبو زهرة، محمد، الوحدة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ط) (د. ت).
- 5- بن لرنب، منصور، أي مستقبل لعلم السياسة في العالم الإسلامي العربي، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والإعلامية، العدد الأول 2001
- 6- بن نبي، مالك، (المجموعة الكاملة)، آفاق جزائرية، ترجمة الطيب شريف، دار الفكر، دمشق، ط3، 2019.
- 7- — (المجموعة الكاملة)، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط3، 2019.

- 8- — (المجموعة الكاملة)، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط3، 2019ج.
- 9- — (المجموعة الكاملة)، القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، ط3، 2019ذ.
- 10- —، (المجموعة الكاملة)، بين الرشاد والنتية، دار الفكر، دمشق، ط3، 2019ب.
- 11- — (المجموعة الكاملة)، تأملات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2019ت.
- 12- — (المجموعة الكاملة)، فكرة الأفريقية الآسيوية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط3، 2019خ.
- 13- —، (المجموعة الكاملة)، فكرة كمنويليث إسلامي، ترجمة الطيب شريف، دار الفكر، دمشق، ط3، 2019د.
- 14- — (المجموعة الكاملة)، مشكلة الافكار في العالم الاسلامي، ترجمة: بسام بركة، واحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، ط3، 2019ر.
- 15- — (المجموعة الكاملة)، ميلاد مجتمع، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط 3، 2019س.
- 16- — (المجموعة الكاملة)، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط 3، 2019ش.
- 17- — (المجموعة الكاملة)، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط 3، 2019ح.
- 18- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1999 م
- 19- حسين، يوسف، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث، دار التنوير، الجزائر، ط 1، (د. ت).
- 20- الخميني، روح الله، الفصل بين الدين والسياسة، وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ط 1، 1980.
- 21- السعد، نورة خالد، الإنسان في معادلة مالك بن نبي، مجلة الفيصل، الكويت العدد 196، 1993م.
- 22- صعب، حسن، علم السياسة، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، (د. ت).
- 23- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، ط1، 1982م.
- 24- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1973.
- 25- العويسي، عبد الله، (أ) مالك بن نبي حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2012م.
- 26- العويسي، عبد الله، (ب) مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي، مجلة الفيصل، بيروت، ط1، 2012م.
- 27- الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، دمشق، ط 3، 2008م.
- 28- الفراهيدي، الخليل بن احمد، كتاب العين، نشر الهجرة-قم، الطبعة الثانية، 1409 هـ.ق.
- 29- القراءتي، محسن، تفسير النور، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط 1، 2014م.

- 30- القرضاوي، يوسف، السياسة الشرعية في ضوء النصوص الشرعية ومقاصدها، مكتبة وهبة، ط 1، 2001م.
- 31- الماوردي، أبو الحسن، الأحكام السلطانية، دار ابن قتيبة الكويت، ط 3، 2008م.
- 32- مجلة الوعي الإسلامي، (المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر)، العدد 63، 1390هـ.
- 33- مطهري، مرتضى، الإمامة والقيادة، انتشارات صدرا، طهران، ط 1، 1992م.
- 34- —، قضايا الجمهورية الإسلامية، دار الهادي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 35- —، نظام حقوق المرأة في الإسلام، ترجمة أبو زهراء النجفي، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، ط 1، 1997م.
- 36- مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة، بيروت، 1992م.
- 37- المودودي، أبو الأعلى، الحكومة الإسلامية، ترجمة: أحمد ادريس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1، (د. ت).
- 38- النابلسي، محمد، سايكولوجية السياسة العربية، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، (د. ت).
- 39- النقيب، عمر، مقومات مشروع بناء الإنسان في فكر مالك بن نبي، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، ط 1، 2009م.